



المتنبى مع طه حسين

للدكتور محمد عوض محمد

إن الذين يطالعون الكتاب الذى بين أيدينا على أنه كتاب لطه حسين فى المتنبي سيخطئون القصد ويفوتون على أنفسهم اللذة الحقيقية والمتعة العظيمة التى يستطيعون أن ينالوها من مطالعة هذا الكتاب على الوجه الصحيح : أى على أنه كتاب أدبى أو قصة أدبية شائقة لها بطلان المتنبي وطه حسين معاً . فليس الكتاب بحثاً تاريخياً جافاً ، أو نقداً موضوعياً ، بل قصة متممة تشترك فيها شخصية المؤلف الأديب وشخصية المتنبي المدهشة ... ولهذا يحمل بنا أن ندعو الكتاب طه حسين مع المتنبي ، أو المتنبي مع طه حسين ؛ كما ينادون فى بعض المطاعم على الأصناف اللذيذة بأن يقولوا فراخ مع الأرز ، أو كوارع مع الفتة ... فالكتاب الذى نحن فى حديثه الآن اسمه الصحيح إذن هو المتنبي مع طه حسين

والمتنبى مع طه حسين مظلوم ! .. فقد كان طه حسين معرضاً عنه إعرافاً تاماً ؛ وظل معرضاً عنه زمناً كدنا ألا نعرف له آخراً .. وقد قرر طه حسين أن يعرض عن المتنبي كل هذا الاعراض ، منذ أن كان يطلب العلم فى الأزهر الشريف . ثم لم يزل معرضاً عنه ممعناً فى الاعراض . لا يسمع لصوته القوى ، ولا يستجيب لندائه العذب . وهو يستعين على هذا الاعراض بضروب من الوسائل ؛ فجعل يضع القطن الغليظ فى أذنيه ، ويقم الحجب والجدران بينه وبينه ، ويقول له : ابعد عني ، لا أريد أن أصغى إليك ...

وهكذا ظل المتنبي يهيب بالأديب الكبير ، والأديب الكبير ليس له - كما تقول العامة - سوى أذن من ظن وأذن من عجين ولكن لم كل هذا الاعراض ، أو التجنى ، أو التمتع ؟ سيقول لك خلطاؤه الذين لا ينظرون إلا إلى ظاهر الأمور إن إعراض طه حسين يرجع إلى الخصومات التى تنشأ بين الطلبة ، وتذهب بهم فى التشيع الأديب مذاهب مدهشة ، فكان يكنى أن ينادى زيد بأن الطائي شاعر كبير ، لكن يخصمه فى ذلك عمرو ويكره خالد ؛ وكان يكنى أن يشتد إعجاب بكر بشعر المتنبي ويسرف فى مدحه ، حتى يتألف عليه الآخرون ، ويقاطعوا المتنبي المسكين من غير جريرة ولا ذنب

أقول إن هذا ما يزعجه الزاعمون . وقد يكون هذا ما يزعج طه حسين نفسه إذا سأله عن سبب إعراضه الطويل . ولكن الحقيقة أعمق - وأبعد غوراً من هذا كله : وقد خفيت حتى على المؤلف نفسه . ذلك أن طه حسين كان يحس - إحساساً مبعثه الإلهام الذى لا حول له فيه ولا قوة - أن شعر المتنبي متعة هائلة أولى به أن يدخرها ، وأن يؤجل التمتع بها كما يترك المرء أطيب الثمار إلى آخر الوجبة . بادئاً بالفج الثقليل منها . قال لى بعض الناس مرة : هل رأيت إيقوسيا ؟ قلت : لا ! قال فأتى أحسبك على هذا أشد الحسد . إني لأعطى كل ما عندى لكى أرى إيقوسيا للمرة الأولى !

ومن هذا الجامد البخيل الذى لا يعطى كل ما عنده لكى يدرس شعر المتنبي للمرة الأولى ؟

ذلك هو السبب الحقيقى لهذا الاعراض الطويل ؛ وكان لا بد لصاحبه إذا سأله لماذا لا تعنى بدراسة المتنبي أن يجيبك بأعذار ينتحلها انتحالاً ، وإذا هو يصطنع خصومة بينه وبينه ، وقد ينتهى به الأمر إلى تصديق هذه الأعذار والإيمان بأن تلك الخصومة المفتعلة تقوم على أساس أو شبه أساس .

إلى أن جاء الوقت ، واستطاع المتنبي أن يرغم طه حسين على أن يسهر مع الساهرين من أجل شوارب شعره التى كان ينام عنها هو ملء جفنه . وأن يكب على دراسة المتنبي انكباباً عجيباً ، وأن يقيم المتنبي أسبوعاً كان من أجل وأروع أسابيع الجامعة المصرية ، وأن يصطحب المتنبي معه إلى أوروبا ، وأن ينزله معه فى الباخرة وفى القاطرات وفى مختلف الفنادق والديار !

وهكذا اضطر طه حسين إلى أن يرى نفسه - على كره منه كما يقول - منصرفاً إلى دراسة المتنبي ، وأن يبادر إلى المتعة التى أذخرها لنفسه هذا الدهر الطويل ، وأن يسلط على هذه الدراسة ما وهبه الله من ذكاء خصب ، وإطلاع واسع ، وملاحظة دقيقة ، وقدرة على استنباط الحقائق من أبسط المعلومات التى يمر بها الناس مرادون أن يروها . ثم استطاع بعد ذلك أن يصور لنا المتنبي ، فإذا نحن نحسه وإذا نحن نلسه ، وإذا نحن نراه ماثلاً أمامنا ، وإذا نحن نسير وإياه جنباً إلى جنب ، وإذا شخصية المتنبي تبرز لنا من وسط هذه الصفحات بروزا غير محاط بلبس ولا إبهام

وطه حسين الذى أبدع هذه الصورة يقول لنا مع إنه ليس من

مضى ، فجازاه المتنبي على إعراضه بأن أعرض عنه يوم أضحي شاعرا مشهوراً .

هذا كله لا يمكن أن يذكر للمتنبي إلا بالخير . فانظر كيف يصور لنا المؤلف هذا الحادث : « فلا تسل عن كبرياء الشاعر وما امتلأت به نفسه من الزهو والغرور ، وإذا هو يتمتع على الأمير ويأبى أن يحبيه إلى المدح الذي رغبه فيه ، ويحتال الأمير في ذلك فلا يوفق . وتشتق عليه هذه الالهانة فيمسك الشاعر في طرابلس ، ولا يخلى بينه وبين السفر ، وإنما يمسكه سجيناً كالطليق ، وطليقاً كالسجين ، والمنطق السليم يقضى بأن مسلك أبي الطيب هذا ينطوى على كثير من العزة والشتم . ولا يدل مطلقاً على أنه يطلب العاجلة ، فينكر نفسه . ولا بد للنصف أن يرى أن عبارة المؤلف في وصف ذلك الحادث قاصرة لم يملأ الانصاف ، بل إن للحزازات القديمة أثراً فيها وفي حياة أبي الطيب أمثلة من الوفاء والاخلاص ، استطاع المؤلف أن يحورها إلى أمثلة من التزلف والخوف . انظر مثلاً إلى الحادث الشهير يوم أن غضب أبو العشائر على أبي الطيب وأرسل غلبانه وراه فرماه أحدهم بسهم وقال خذهُ وأنا غلام أبي العشائر . فأنشد أبو الطيب هذه الآيات العجيبة الساحرة :

ومنتسب عندي إلى من أحبه وللبل حولي من يديه حفيف
فهبج من شرق وما من مذلة . حنت ولكن الكريم ألوف
وكل وداد لا يدوم على الأذى دوام ودادي للحسين ضعيف
فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفضاله اللائي سررت ألوف
ونفسى له . - نفسى الفداء لنفسه ، ولكن بعض المالكين عنيف
فإن كان ينبغي قتلها بك قاتلاً بكفيه فالقتل الشريف شريف
وليس هنا مجال لسرد الحادث كله ، ولكن العجيب أن سرد المؤلف له يضع الذنب كله على المتنبي ، لأنه أهمل مدح أبي العشائر وكأنه يلتمس العذر لهذا الرجل في غدره بأبي الطيب

لقد قرر المؤلف في نوبة من نوبات الظلم التي كانت تعاوده وهو يعلى أكتابه هذا : أن المتنبي « عبد للطمع والمال ، لا للجمال والفن . » ولم يجد من الحوادث والأشعار مساعداً له على تأييد هذا الرأي ، فاضطر إلى أن يصنع الحوادث بالصيغة التي تتفق مع هذا الظلم ، وأن يلتمس للشعر الخالص البريء أسباباً غير خالصة ولا بريئة وقد وجد الأستاذ المؤلف نفسه في مأزق حرج أمام قصيد

المعجبين بالمتنبي ، المشغوفين بشخصه وفنه ، ولكنه لحسن الحظ لا يطلب منا أن نصدق كلامه هذا بل يقول لنا إننا نحiron في أن نرى أن هذا الكلام يصدر عن تفكير أو هذيان أو شذوذ وجوح (ص ٧٠) . وأنا أفضل الرأي الأخير . . ومن الممكن للصور البارعة الذي أبدع الصورة وجلالها للناظرين أن يزعم أنه لا يجب صاحب هذه الصورة ولكنه لم يجد بين الناس من يصدقه

ليقل طه حسين إذن في علاقته الشخصية بالمتنبي ما يشاء . فإن القراء قد ظفروا منه على كل حال بكتاب متملى حياة وقوة . ليس المتنبي فيه اسماً يذكر وأشعاراً تتلى وجدالاً يسرد ، بل شخصاً حياً يسعى ويعمل ، ويحس ويشعر ، ونحن نشاركه كل هذه الحياة . واستطعنا بسبب هذا كله أن نزداد حباً للمتنبي وعطفاً عليه . وهى نتيجة لم يكن المؤلف يريد لها أو يفكر فيها . كذلك استطعنا أن نعجب بالمؤلف حين ينصف المتنبي ، ويبرز الحق من أركان هذه الحياة الثائرة العجيبة . واستطعنا أيضاً أن ننظر شزراً حين نرى المؤلف يحمل على المتنبي حملات أقل ما يقال عنها إنها لا تتفق مع ما يذكره المؤلف نفسه عن المتنبي حين يتناسى ما بينهما من الحزازات القديمة

ليس من الممكن هنا أن نعدد محاسن هذا الكتاب الذى قلنا خدم شاعر فى العرية كما خدم به أبو الطيب . وسيرى القارى من غير مشقة كيف استطاع المؤلف أن يزيد لذتنا وتمعنتنا بأشعار المتنبي أضغافاً مضاعفة . قصيدة مثل « وفاؤكم كالربيع أشجاء طامسه » ونحوها . أصبحنا بعد أن صورت لنا حياة المتنبي والظروف المعقدة التى أنشئت فيها تلك القصائد - نرى فيها حياة وقوة وعمقاً لم نكن نحس له وجوداً

ومع هذا - وبعد هذا كله - فالمتنبي مع طه حسين مظلوم . لأن طه حسين لم يستطع دائماً أن يتسنى ما بينه وبين المتنبي من خصام ، بل يذكر هذا الخصام أحياناً فيعود إلى ظلم المتنبي ، ويعمن في التشنيع عليه . أنظر إليه حين يريد أن يوهنا بأن المتنبي مداح كسائر المداحين وأنه ينكر نفسه كلما اقتضت منه المنفعة العاجلة إنكارها . ويريد منا أن نصدق هذا ، وهو نفسه الذى يربنا فى صراحة وجلال كيف أعرض المتنبي عن مدح اسحق بن كفلغ ولم يعأ بهديده ووعيده . مع أن المنفعة العاجلة كانت تقضى من غير شك بإنكار النفس وبذل المدح ونحن نرى المتنبي لا يكتفى بهذا بل يهجو هجاء مرأ ، ذلك لأن المتنبي كان غاضباً من هذا الرجل الذى أبى أن يقبل منه المدح فيما

والمواقف الظالمة التي وقفها المؤلف من الشاعر هي من الواضح والظهور بحيث لن يخطئها القارىء ؛ ونحن لانشك في أنها البقية الباقية من أيام العهد القديم حين كان بعضنا يتعصب للثنى وبعضنا يتعصب عليه ، وكان طه حسين دائماً من الفريق الثانى . .

ولكننا برغم هذا التحامل - بل لسبب هذا التحامل - مستجد في مطالعة هذه الفصول متعة شائقة ، بحيث لا يمكن أن نتناول الكتاب ثم نلقيه قبل أن نفرغ منه

يجب أن نطالع هذا الكتاب لا على أنه تاريخ أو نقد ، بل على أنه قطعة أدبية فنية ، تمثل صورة وتقص قصة . ولك أن تطلعه إذا شئت على أنه كتاب لطه حسين عن المتنبي . ولكنك بهذا ستضيع على نفسك لذة عظيمة ومتعة فائقة . فلو جده الصحيح للتمتع بهذا الكتاب هو أن تقرأه على حقيقته التي كشفت لك عنها في أول هذا المقال . فالموضوع الصحيح هو المتنبي مع طه حسين . أو إذا شئت اسطلاحاً : حسايا قتل : المتنبي مضروباً في طه حسين ، فالكتاب هو حاصل هذا الضرب

وهذا الاعتبار أو ذاك مستجد في مطالعة الكتاب لذة جديدة لم تكن تحتاج لك من قبل : ولو كان في هذا الزمان إنصاف لشكرني الناس على الكشف الذي كشفت والهدى الذي هديت . ولكننا في زمن كما يقول صاحبنا :

إنا لنى زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال

والآن فبالإصالة عن نفسى وبالنيابة عن عشاق المتنبي أسجل هنا ما أحرزناه من النصر بانضمام عدو عنيد إلى صفوفنا ؟

محمد عوض محمد

مرض البول السكرى

نصيحة من مريض (الله تعالى) إلى المريض

مرضت بالبول السكرى وبالتالى إلى كل الطرق لم أستفد سوى استفادة مؤنة تزول بزوال العلاج إلى أن وفقني الله تعالى إلى بعض أنواع جذور النباتات لم أجدها إلا بمحل عطارة محمد طاهر الصاوى بوكالة أبوزبير بالخراسان بمصر لم يفرق ٥٢٥٢٠ ولم يكلفنى ثمن سوى مبلغ عشرة قروش صاغ . وباستعماله مرة أربعة أسابيع كانت النتيجة مرضت بهذا . . . فقد ظهر منه نتيجة التحليل أن البول طبيعى بعد أن كان بنسبة ٥٥ في الألف .

لذلك أخذت على نفسى عهداً أن أنصح بها المرضى وأعتقد أن المحل المذكور لا يتأخر عن إرساله لكل مريض خدمة لعلنا نمنى برسالة إليه قيمة الثمن المذكور أحمد كـ ٢٠

المتنبي الشهيرة . واحر قلبه من قلبه شيم ، فقد رأى المؤلف أنها قصيدة لا يمكن أن تصدر عن رجل خلقه الأساسى أنه عبد للطمع والمال لا للجمال والفن . فإذا يفعل بهذه القصيدة التي إن دلت على شيء فانها تدل على أن المتنبي رجل خلقه الأساسى الشمم والآباء . لم يكن للمؤلف بد من أن يمر بهذه القصيدة مرأ ، وأن يختصر الكلام عنها ، وعن الحادث الذي تدل عليه اختصاراً . وأن يعتذر عن ذلك بأن الناس قالوا فيها فأكثر . . أما ما اشتملت عليه القصيدة من الفن الهائل فانه لا يظفر من المؤلف إلا بالعبارة الآتية : نلاحظ مسرعين أن المتنبي قد وفق فيها إلى حظ لا بأس به (كذا) من الاجادة الفنية . . سلك طريق ابن الرومى فألح في العتاب حتى كاد يبلغ الهجاء . وأسرف في المدح ليصلح ما أفسده بالعتاب .

هذا كل مايقوله عن هذه القصيدة هذا المؤلف العجيب الذي يخصص ست صفحات من كتابه لقصيدة وكفر ندى فرند سيفى الجراز ، ونحن نلاحظ هنا أمراً مدهشاً قد ساق المؤلف إليه إصراره على تجاهل هذه القصيدة . .

ولنر أولاً - مر الكرام ، على قوله إن بها حظاً لا بأس به من الاجادة الفنية ، ولكننا نقف قليلاً عند قوله إن المتنبي أسرف في المدح ليصلح ما أفسده بالعتاب ،

إن أقل إلمام بهذه القصيدة يرينا أن ما اشتملت عليه من المدح ليس من النوع الذى يوصف بالاسراف . ومهما يكن من شيء فإن هذا المدح مقدم في أول القصيدة ، لا لإصلاح ما أفسده العتاب ، بل توطئة للعتاب القاسى والألم المر ؛ والقصيدة تزداد شدة وعنف كلما اقتربنا من النهاية ؛ حتى تنتهى فعلاً بتهديد سيف الدولة بالانصراف عنه والرحيل من دياره

وهذه القصيدة تدل على براعة فنية هائلة ، وعلى خلق متين وعز . ولذلك لا تتفق مع الدعوى بأن المتنبي عبد للطمع والمال ، ذليل لذلك والسلطان ، ولذلك تجاهلها المؤلف ومر بها مرأ سريعاً . . .

وبعد فليست في حاجة لأن أدلى بأمثلة أخرى يظهر فيها ما بين المؤلف والمتنبي من خصومة قديمة . . فقها ذكرناه كفاية لأن يرى القارىء أن المتنبي مع طه حسين مظلوم . ولكن من العدل أن نقرر أن طه حسين كثيراً ما كان يفسى هذه الخصومة . والكتاب يحتل بقطع عديدة ، استطاع المتنبي أن يثار بها لنفسه ، وأن ينال من المؤلف كل انصاف وتقدير بالرغم منه